فَعِظُوهُنَّ

وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ

وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الحج : ٦٢]

.. الحقُّ اسمٌ من أسماء الله تعالى ، وما يُدعى من دون الله تعالى باطل .. لذلك .. فالحقُّ دائمٌ بدوام الله تعالى .. والله تعالى يُحقِّه بكلماته التي لا تتبدَّل ولا تتغيَّر ..

﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [يونس : ٨٢]

.. من هنا نرى أنَّ التدليس بالباطل على أنَّه هو الحق ، هو أبشع صور الإجرام ، لأنَّه يُخفي الحقَّ من جهة ، ويقدِّم الباطل حقاً من جهةٍ أُخرى .. وتبلغ الجريمة أوجها حينما يترتَّب على هذا الخلط بين الحقِّ والباطل ظلمٌ يدفع ثمنه الأبرياء دون أيِّ ذنب ..

.. من أبشع صور هذا الباطل ، ما يحمله موروثنا الثقافي والفقهي من ظلم للمرأة ، ما أنزل الله تعالى به من سلطان .. فنرى أحاديث مهينة للمرأة ، ونرى تفاسير مغلوطة تجعل من المرأة بمستوى البهائم .. نعم تجعلها بمستوى البهائم .. أليست أحكام السبي والعبيد وملك اليمين – على سبيل المثال – التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، تفرض على المرأة (خصوصاً) أبشع الجرائم بحقِّ عرضها وحياتها كلِّها ..

.. في هذا البحث سنتناول – بإذن الله تعالى – مسألة تشويه دلالات الآية الكريمة التالية ، واقفين على حقيقة دلالات عباراتها ، بمنهجيّة علميّة بعيدة عن ضغط الموروث ..

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء : ٣٤]

.. الآية الكريمة تبدأ بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ .. وللأسف فإنَّ دلالات هذه العبارة القرآنيّة كما تحملها صياغتها اللغويّة ، غُيِّبَت خلال التاريخ ، واستُبدِلَت بما لا تحمله ، لا من قريب ولا من بعيد ..

.. كلمة ﴿ قَوَّٰمُونَ ﴾ ، لا تحمل معنى التسلّط والقهر والتفضيل في الخلق بين الرجل والمرأة .. أبداً .. فهذه الكلمة من الجذر (ق ، و ، م) .. والقول : قام إلى الشيء : يعني همَّ به وتحرَّك لفعله ..

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢]

.. وهذا المعنى نراه في كلمة ﴿ قَامُواْ ﴾ في قوله تعالى ..

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف : ١٤]

.. كلمة ﴿ قَامُوا ﴾ تعني : تحرَّكوا وتابعوا في بحثهم وتفكّرهم ودعوتهم ، ونتيجة قيامهم هذا أنَّهم قالوا : ﴿ فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ..... ﴾ ..

.. والعبارة ﴿ تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الروم : ٢٥] ، تعني : تتابع السماوات والأرض وجودها وبقاء حيثيّاتها بأمر الله تعالى .. والعبارة ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ [الروم : ١٤] ، تعني : ويوم تُفعَّل حيثيّات وجود الساعة .. والعبارة القرآنيّة ﴿ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الروم : ١٤] ، تعني : وأن تتابعوا العمل والإشراف على اليتامى بالقسط .. وقوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [المائدة : ٦٨] ، يعني : حتّى تفعِّلوا وتتابعوا في حركة حياتكم ، أحكام التوراة والإنجيل ، وما أُنزل إليكم من ربّكم ..

.. من هنا نرى أنَّ كلمة ﴿ قَآئِمٌ ﴾ في قوله تعالى .. ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد : ٣٣] ، تعني : أفمن هو متابع ومشرف وقيّوم .. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ [آل عمران : ٧٥] ، فكلمة ﴿ قَآئِمًا ﴾ تعني : متابعاً وساعياً في الطلب ..

.. والمشتق من هذا الجذر (ق ، و ، م) على وزن (فعَّال) ، يرد ثلاث مرّات في كتاب الله تعالى ، في الآية قيد الدراسة ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ ، وفي قوله تعالى ..

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ ﴾ [النساء : ١٣٥]

.. حيث كلمة ﴿ قَوَّٰمِينَ ﴾ كما نرى تعني : فعَّالين في متابعتكم بالقسط لكلِّ حركات حياتكم .. وأيضاً في قوله تعالى ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ [المائدة : ٨]

.. حيث كلمة ﴿ قَوَّٰمِينَ ﴾ تعني : فعّالين متابعين لما يريده الله تعالى في كلِّ حركات حياتكم ..

.. إذاً .. العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ تعني : الرجال فعَّالون عبر حركاتهم وأعمالهم وسعيهم ، في متابعة النساء بخدمتهن والقيام على حاجاتهن .. ولا تعني أبداً التسلط والعلو والقهر .. أبداً .. فهي تحمل تكليفاً للرجال ، وليس تشريفاً لهم وعلوَّاً على النساء في القيمة الإنسانيّة ، كما يتوهَّمهم أصحاب الأهواء ..

.. وهذه الفعَّاليّة التي أُعطيت للرجال ، من أجل متابعة حاجات النساء والقيام بخدمتهن ، إنّما أُعطيت لسببين اثنين ، هما : ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ ، وَ : ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾ ..

.. وما نلاحظه أنَّ الله تعالى لم يصف السبب الأوَّل بقوله : (**بما فضلَّهم الله عليهن**) ، أو : (**بما فضَّل الله بعضهم عليهن**) ، أو (**بما فضَّل الله بعضهم على بعضهن**) .. أبداً .. الله تعالى يقول ﴿ **بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ ..

.. الفضل في كتاب الله تعالى هو العطاء والزيادة .. ﴿ **وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ** ﴾ [النحل : ٧١] .. لذلك .. قوله تعالى : ﴿ **يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [البقرة : ٤٧] ، يعني : أعطيتكم ما لم أُعْطِ أحداً من العالمين ..

.. الله تعالى يبيّن لنا ما يريده منّا ، في منهج تفاعلنا مع رسله عليهم السلام ..

﴿ **قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة : ١٣٦]

﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ** ﴾ [البقرة : ٢٨٥]

.. هؤلاء الرسل الذين لا نفرِّق بينهم ، فضَّل الله تعالى بعضهم على بعض ..

﴿ ۞ **تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ** ﴾ [البقرة : ٢٥٣]

﴿ **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ** ﴾ [الإسراء : ٥٥]

.. تفضيل الله تعالى للرسل على بعضهم : يعني : أنَّ الله تعالى أعطى كلَّ واحدٍ منهم خاصيّة يتميّز بها على غيره من الرسل ، وبالتالي فكلُّ واحد من الرسل يتميّز عنه بميِّزة ..

مثلاً .. عيسى عليه السلام يتميَّز بامتلائه بالروح .. وموسى عليه السلام يتميّز بكونه كليم الله تعالى .. وإبراهيم عليه السلام يتميّز بكونه خليل الله تعالى .. وهكذا ...

.. هذا المعنى للتفضيل هو ذاته ما نقرؤه في دلالات العبارة القرآنيّة : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ [النساء : ٣٤ - ٣٥] ..

.. وكما قلنا .. الله تعالى لم يقل : (**بما فضلَّهم الله عليهن**) ، أو : (**بما فضَّل الله بعضهم عليهن**) ، أو (**بما فضَّل الله بعضهم على بعضهن**) .. أبداً .. الله تعالى يقول : ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ .. وهنا .. نميِّز بين وجهين متكاملين من المعنى :

١ - العبارة ﴿ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ .. تعني صنفي الرجال والنساء .. بمعنى : فضل الرجال على النساء ببعض الميِّزات ، وفضَّل النساء على الرجال ببعض الميِّزات .. بالنتيجة كلٌّ منهما فُضِّل على الطرف الآخر بميّزات تتعلَّق بكينونته ، ليكون الطرف الآخر قد فضَّله الله تعالى عليه بميّزات تتعلَّق بكينونته ..

٢ - العبارة ﴿ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ .. تعني أيضاً : فضَّل بعض البشر (رجالاً كانوا أم نساء) على بعضهم ، حسب عطائه جلَّ وعلا لكلٍّ منهم ، سواء كانوا رجالاً أم نساء ..... فالبشر (رجالاً ونساء) ، فضَّل الله تعالى بعضهم على بعض ..

﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٢]

.. هذه العبارة ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ بما تحمله من دلالات كما نرى ، تنفي أيَّ معنى من معاني التسلّط والعلو للرجال على النساء .. فالقوّامة التي أُعطيت للرجال على النساء ، هي بسبب سعيهم ومتابعتهم وقيامهم بحاجات النساء ، كونهم

يتميّزون بالقوّة الجسديّة والقدرة على السعي .. وهذا يقابله تفضيلٌ للنساء على الرجال ، حيث يتميّزن بأمورٍ أخرى لا يملكها الرجال .. وكلُّ ذلك محمول بقوله تعالى ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ..

.. والسبب الثاني في قوّامة الرجال على النساء هو : ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ .. وهذا السبب يتعلّق بمن ينفق من ماله ، بمعنى : بمن يتحمَّل أعباء الإنفاق على الأسرة .. فمن يتحمَّل أعباء الإنفاق على الأسرة ، هو المتابع والمشرف والمتحمّل لمسؤولية تلبية حاجات هذه الأسرة .. وهنا – أيضاً – علينا أن نميِّز بين وجهين من المعنى :

١ – في معظم المجتمعات البشريّة ، وخلال التاريخ ، الرجل هو من يتحمَّل مسؤوليّة الإنفاق على الأسرة ، وفي هذه الحالة القوّامة تكون له .. وهذا هو المعنى الأساس الذي يذهب إليه الذهن أوّلاً ..

٢ – في بعض الحالات الخاصّة ، المرأة هي التي تتحمَّل أعباء الإنفاق على الأسرة ، فهي التي تعمل ، وهي التي تنفق من مالها .. وهنا تأخذ كلمة ﴿ ٱلرِّجَالُ ﴾ معنى آخر هو : الساعي والمتحرِّك ..

.. كلمة ﴿ ٱلرِّجَالُ ﴾ هي من الجذر (ر ، ج ، ل) ، وقد وردت في كتاب الله تعالى بمعنى : الساعي والمتحرّك بقصده وإرادته باتِّجاه محدَّد ، وليس بمعنى : الذكر المقابل للأنثى ..

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا ..... ﴾ [البقرة : ٢٣٨ – ٢٣٩]

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٧]

.. في هذه الحالات الخاصّة ، حيث تُوضَع المرأة في موقع القيام بأعباء الإنفاق والإشراف على الأسرة ، تكون هي المعنيّة بكلمة ﴿ ٱلرِّجَالُ ﴾ .. وهذه الحالة ليست نادرة .. فالمرأة إن مات زوجها ، أو هجرها ، أو كان لا يستطيع القيام بالقوّامة لسببٍ ما ، وعندها بنات تعمل لتنفق عليهن ، وبعهدتها تربيتهن والإشراف عليهن ، وأولادها صغار لا يوجد فيهم من يستطيع تحمّل هذه المسؤوليّة .. في هذه الحالات .. من القوّام على تلك البنات ؟ .. أليست أمّهن التي تسعى وتعمل لتأمين حاجتهن ، والإشراف عليهن ؟ ..

.. إذاً .. العبارات القرآنيّة ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾ .. لا تحمل أبداً أيَّ معنى من معاني إعطاء صلاحيّة التسلّط والقمع والقهر ، للرجال (كذكور) على نسائهم (كإناث) ، إنّما تعني كما رأينا : تكليف الرجال بمتابعة أمور النساء ، وتحميلهم المسؤوليّة لتأمين حاجاتهن ، وحمايتهن ، والإشراف على شؤونهن بما يضمن مصلحتهن .. وهذا تكليف ، وليس تشريفاً .. وليس تمييزاً بالعلو والقيمة الإنسانيّة للذكور على الإناث ..

.. بعد هذه العبارات القرآنيّة ..... نرى استئنافاً ، متفرِّعاً عن العبارات السابقة : ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾ .. وما نراه نرى أنَّ كلمة : ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ مبتدأ .. وخبره الأوَّل ﴿ قَٰنِتَٰتٌ ﴾ .. وخبره الثاني ﴿ حَٰفِظَٰتٞ ﴾ .. ولا شك أنَّ كلمة ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ خاصّة بالإناث ..

.. والصلاح هو الابتعاد عن المعاصي والفساد والفواحش وكلِّ ما ينهى الله تعالى عنه .. ولا شكَّ أنَّ الصلاح يتعلَّق بالإيمان والتقوى والرجوع عن الخطأ .. فالصالحات اللاتي يصفهنّ الله تعالى بهذه الصفة ، هنَّ جزءٌ من النساء ..... بكينونتهن وما يعملن من إبعاد للسوء والفاحشة والخطيئة عن أنفسهن ، صفتهن الصلاح ..

.. والصالحات اللاتي يصفهن الله تعالى بذلك ، هُنَّ ﴿ قَٰنِتَٰتٌۚ ﴾ .. والقنوت هو الإصغاء والاتّجاه نحو الالتزام بالطاعة .. وهُنَّ أيضاً ﴿ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ ﴾ .. فحفظ الشيء هو منع وصول الخلل والنقص والسوء إليه ..

.. واللاتي يصفهنَّ الله تعالى بقوله : ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ ، هنَّ : ﴿ قَٰنِتَٰتٌۚ ﴾ كنتيجة لهذه الصفة ، وهنَّ ﴿ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ ﴾ كنتيجة أيضاً .. وحفظ الغيب هو منع وصول السوء للنفس والخلل والفاحشة ، في الغيب ، عندما تكون المرأة لا رقيب عليها إلاَّ الله تعالى .. بمعنى : صلاحها وإيمانها وتقواها ، يجعلها في الغيب ، في حالات بُعدها عن مراقبة الآخرين ، يجعلها حافظة لنفسها من أيِّ سوء أو خلل أو فاحشة ..

.. ولكن هذه الصفة ﴿ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ ﴾ تكون بواسطة ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾ .. فحفظها لنفسها في الغيب هو بواسطة حفظ الله تعالى ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾ .. وهنا لهذه العبارة القرآنيّة ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾ وجهان من المعنى ، لا ينفكَّان :

١ – حفظهنّ للغيب ، هو بسبب حفظ الله تعالى لهنّ ، كونهن صالحات قانتات ، وهنا تكون (ما) في العبارة ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾ مصدريّة .. أي بسبب حفظ الله تعالى لهن ، والذي هو نتيجة لكونهنّ صالحات قانتات ..

٢ – حفظهنَّ للغيب ، هو بالسبب الذي حفظه الله تعالى لهنَّ من قوَّامة للرجال عليهن ، تضمن لهن النفقة وتأمين كامل حاجاتهن ، ممّا يساعدهنّ ويؤمِّن لهنَّ حفظهنّ للغيب .. وهنا تكون (ما) في العبارة ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾ موصولة بمعنى الذي .. أي بالذي حفظه الله تعالى لهنَّ ، من الحقوق التي شرعها لهن في كتابه الكريم ..

.. إذاً .. العبارات القرآنيّة : ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ ، تصف جزءاً محدَّداً من النساء ، يتَّصفن بهذه الصفات كقيمة إيمانيّة روحية ، تُنتج سلوكاً سليماً ، سواء في غيابهن أم في حضورهن .. ولا تصفُ كلَّ النساء .. وتأتي العبارات التالية لتصف حالة سلوك اجتماعي ، ينتج عن حالة نفسيّة لبعض النساء .. لتبقى بين هذين الوجهين ، مساحة تتحرَّك فيها باقي النساء ، حسب درجات صلاحهن من جهةٍ ، وحسب درجات انشراح أنفسهن من جهةٍ أُخرى .. فلربما – على سبيل المثال – تكون المرأة حافظة للغيب قانتة ، لكنَّها بسببٍ نفسي غير منسجمة اجتماعيّاً ، ممَّا يتخوَّف من إمكانيّة وصولها إلى حالة النشوز ..

﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾

.. وكلمة ﴿ نُشُوزَهُنَّ ﴾ هي من الجذر (ن ، ش ، ز) .. ودلالات الجذر (ن ، ش ، ز) في كتاب الله تعالى تعني : التقوقع والاجتماع حول الذات ، وعلى هيئتها وناموسها ، وعدم مدّ جسور التواصل مع الآخر .. فتقوقعُ الزوجِ على نفسهِ ابتعاداً عن التواصل مع زوجتِهِ ، وتقوقعُ الزوجةِ على نفسِها ، ابتعاداً عن التواصل مع زوجِها ، هو ترفُّعُ كُلٍّ منهما على الآخر ، وبالتالي عودةٌ إلى الذاتِ الفرديّةِ دون التواصلِ مع الآخر ، ودون فَسْحِ حدودِ النفسِ للتواصلِ معه .. وقد عبَّرَ القرآنُ الكريمُ عن ذلك بمشتقّات الجذر (ن ، ش ، ز) ..

.. وما نراه أنَّ هذه المسألة ، التي تجمع في إطارٍ واحد ، الخوف من نشوز المرأة ، وخوف المرأة من نشوزٍ يقوم به بعلها .. هي مسألة كاملة في كتاب الله تعالى ..

﴿ وَٱلَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ٣٤] = ٦١١

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ [النساء : ١٢٨] = ٤٣٤

٦١١ + ٤٣٤ = ١٠٤٥ = ١٩ × ٥٥

.. وهكذا .. فالنفسُ التي كانتْ مفسوحةً للتواصلِ مع الزوجِ ، لتتقاطعَ مع نفسِه في مُشتَرَكٍ يضمُّ ساحةً من التواصل بين الزوجين ، خارجَ حدودِ فرديّةِ كلٍّ من الزوجين ، تعودُ مُتقوقعةً على ذاتِها ، وهذا ما يصفه كتاب الله تعالى بالنشوز من الجذر (ن ، ش ، ز) ..... فالنشوزُ إذاً بالنسبةِ لمسألةٍ ما ، هو إعادةُ تركيبِ جزئيّات هذه المسألةِ على بعضِها ، لتتَّصلَ على نظامِ ذاتِها ..

.. هذا المعنى نراه في العبارة القرآنيّة : ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .. فتجميعُ العظامِ المُبعثرة ، وَرَفْعُها إلى بعضِها ، واتّصالُها على هيئةِ ذاتِها قبل بعثرتِها ، يُصوِّرُهُ الله تعالى لنا بكلمة ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ ..... ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ .. فما رآه الذي مرَّ على القرية وهي خاوية على عروشها ، هو تجميع العظام المبعثرة على هيئةِ ذاتِها قبل بعثرتِها ، ومن ثم إكساؤها باللحم ..

.. وهذا المعنى المستنبط من مشتقّات الجذر (ن ، ش ، ز) نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١١]

.. التفسُّحُ [حيث لا ترد مشتقّات للجذر : (ف ، س ، ح) إلاَّ في هذه الآيةِ الكريمة] هو عكسُ النشوز ، فهو يعني التوسّع ، والتنحّي .. ولو كانت المسألةُ محصورةً بأماكنِ القعود كما تذهب تفاسيرنا الموروثة ، لكانتْ مسألةَ مُفاعلةٍ بين القاعدين ..... لكنْ .. ما نراهُ في هذه الآيةِ الكريمةِ أنَّ اللهَ تعالى يقول : ﴿ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ ﴾ .. و لمْ يقلْ (تَفَاسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ) ..

.. وفي قولِهِ تعالى ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ ، إطلاقٌ يشملُ نتيجةً هي بيدِ اللهِ تعالى ، وذلك ضمن إطارِ ساحة التفسُّحِ في المجالس .. ﴿ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ .. وكلُّ ذلك يجعلُنا نذهبُ بدلالاتِ هذه الآيةِ الكريمةِ إلى ما هو أبعدُ من مسألةِ التوسُّعِ في أماكنِ القعود ..

.. نحنُ نعلمُ أنَّ الدراسةَ العِلميّةَ الفلسفيةَ المنهجيةَ لِمسألةٍ ما ، بِهدفِ البحثِ عن ناظِمِها ، وناموسِها الذي يَحْكُمُهَا ، يبدأُ بالنظرِ إلى جزئيّاتِها التي نستطيعُ إدراكَهَا بأدواتِنا الحسّية ، وبما نملكه من ثوابتَ ومعايير .. أي نقومُ بعمليةِ تفكيكٍ وتحليلٍ لهذه المسألةِ بهدفِ النظرِ إلى حقيقةِ مكوِّناتِها .. بعد ذلك نقومُ بعمليّةِ تجميعٍ لما أدركناهُ من ثوابتَ تحملُها جزئيّاتُ هذه المسألةِ ، أي نقومُ بعمليةِ تركيبٍ لهذه الجزئيات على بعضِها ، بهدفِ الوصولِ إلى ذاتِ الناموس الذي نبحثُ عنهُ في ذاتِ هذه المسألة ..

.. هذا الكلامُ عامٌّ يشملُ كلَّ مناهجِ البحث .. ويشملُ أيضاً الآفاقَ الفِكريّة ، وأدواتِ الرُّؤى ، في تفاعُلِ الإنسان وبحثِهِ عن الحقيقةِ ، داخلَ حدودِ الذات ، وخارِجَها

.. فالإنسانُ حينما ينظرُ من منظارِ نفسِه إلى الآخر ، يرى من حقيقةِ الآخرِ وجزئيّاتِ ذاتِه ، بمقدارِ ما يتفسَّحُ في رُؤاهُ ، ويمدُّ جسورَ التفاهمِ معه ..

.. هذا المنهجُ العلميُّ ، يَتَّبِعُهُ الذين أوتوا العلمَ ، من أيِّ أُمةٍ كانتْ ، في بحثِهم عن الحقيقة ، فباتِّباعِهم لهذا المنهج يصلون إلى الحقيقة ... فسواءٌ تحليلُ مُكوِّناتِ المسألةِ ، أو تركيبُها ، أو الانطلاقُ من الجزئيّاتِ إلى الكليّات ، أو الانطلاقُ من الكليّاتِ إلى الجزئيّات .. كُلُّ ذلك خطواتٌ ضروريّةٌ لمنهجٍ علميٍّ هدفُهُ البحثُ عن الحقيقة ..

.. إذاً .. النشوز المعني في هذه الآية الكريمة ﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾ [المجادلة : ١١] ، هو تركيب الجزئيّات (التي تمَّ إدراكها في البحث) على بعضها ، لتكوين هيئة النتيجة التي يصل إليها الباحث نتيجة بحثه ..

.. بعد هذا البيان لمعاني جميع مشتقّات الجذر (ن ، ش ، ز) في كتاب الله تعالى .. لنعد إلى العبارة القرآنيّة قيد الدراسة ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ ..

.. في هذه الحالة نرى وصفاً لظهور سلوك اجتماعي لبعض النساء ، عبر مؤشِّرات سلوكيّة اجتماعيّة ناتجة عن حالة نفسيّة ، تبديها المرأة من هذا الصنف ، تؤدّي بها فيما لو استمرّت على هذا الحال ، إلى الوصول لحالة النشوز الكلِّي .. وما نراه في وصف هذه الحالة ، أنَّ النشوز بمعناه الكلِّي المُهلِك المؤدِّي للفراق الذي يتخوَّف من وقوعه ، لم يبدأ بعد .. فالعبارة : ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ ، تبيّن لنا أنَّ نساء هذا الصنف الثاني ، يحصل خوف من إمكانية نشوزهن .. فالنشوز لم يقع بعد .. الواقع هو الخوف من إمكانيّة نشوزهن بالمفهوم الكلِّي المؤدِّي للفراق .. وفي كتاب الله تعالى نرى أنَّ الخوف من حدوث الأمر ، لا يعني أنَّه واقع ، بل يعني الخشية من وقوعه ، من خلال سلوك مقدِّمات ، نتيجتها وقوعه ..

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف : ٥٩]

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس : ١٥]

﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾ [يوسف : ١٣]

﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ [الشعراء : ١٤]

.. وما نراه أنَّ كلمة ﴿ تَخَافُونَ ﴾ ترد بصيغة المضارع .. لذلك فدلالات العبارة القرآنيّة ﴿ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ .. إمَّا تُسحَب على النشوز الكلِّي كنتيجة يتخوَّف من الوصول إليها ، أو على ما يظهر منهنَّ من مؤشِّرات سلوكيّة نفسيّة تؤدِّي في النهاية إلى حالة النشوز الكلِّي .. وفي الحالتين ، لم يقع بعد النشوز الكلِّي المتخوَّف منه ، وما هو واقع مقدّماته ومؤشّراته النفسيّة السلوكيّة التي تظهر على المرأة ..

.. وما نراه أنَّ الله تعالى لم يقل : (**والناشزات**) .. إنّما يقول : ﴿ **وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ** ﴾ .. فهناك مؤشِّرات تبيِّن أنَّ المرأة سائرة باتّجاه حدوث النشوز الذي يتخوَّف منه ..

.. وما نراه أنَّ الله تعالى لم يأت بالنشوز بصيغة النكرة ، فلم يقل : (**واللاتي تخافون نشوزاً منهن**) ، بصيغة مشابهة لقوله تعالى : ﴿ **وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا** ﴾ .. فالنشوز المتخوَّف منه هو نشوز خاص بالمرأة كامرأة وبكينونتها النفسيّة ﴿ **نُشُوزَهُنَّ** ﴾ ، وفي علاقتها كزوجة وكأنثى مع زوجها ، وليس بسببٍ ما بعيداً عن كينونتهن .. فلو قال تعالى : (**واللاتي تخافون نشوزاً منهنّ**) ، لشمل ذلك أيَّ حالة من النشوز ، على سبيل المثال نشوز المرأة بسبب الفقر ... ولو قال الله تعالى : (**واللاتي تخافون النشوز منهنّ**) ، بتعريف النشوز بأل التعريف ، لتعلَّق ذلك بالنشوز المقابل للحالة المحمولة بالعبارة السابقة مباشرة : ﴿ **فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ** ﴾ ،

بمعنى لتوقّف النشوز عند حدود عدم الالتزام بصفات الصالحات القانتات الحافظات للغيب فقط ، فهذه الصفات عرَّفها الله تعالى في هذه العبارة ، وبالتالي فالابتعاد عنها هو أمرٌ بات معروفاً ، ووصفه يقتضي كلمة (**النشوز**) ..

.. لكن ما نراه أنَّ الله تعالى يضيف النشوز للنساء : ﴿ **وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ** ﴾ .. فالنشوز المعني هنا ، هو نشوز النساء ، كنساء ، ويتعلَّق بكينونتهن كحالة نفسيّة ، بحيث لا تكون المرأة سويةً تنسجم مع الواقع المحيط بها ، كامرأة لا بدَّ لها من مدِّ صلات التواصل مع زوجها كزوج ، ومع الوسط المحيط بها اجتماعيّاً كإنسانة فاعلة فيه .. بمعنى : تتقوقع حول نفسها كامرأة ، بعيداً عن الظروف الأخرى ، مادية كانت أم اجتماعيّة أم غيرها ، فلا تمدُّ صلات التواصل مع زوجها كزوج ، ولا مع المجتمع كإنسانة .. وبالتالي فهذه المرأة عندها مشكلة نفسيّة عميقة بداخلها ، بحاجة لعلاج كي تخرج من حالتها هذه .. وذلك سواء كانت المرأة صالحة قانتة حافظة للغيب ، أم لم تكن ..

.. هذه الصيغة ﴿ **وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ** ﴾ دون الصيغة : (**واللاتي تخافون النشوز منهنّ**) ، نراها تصف هذا السلوك النفسي للمرأة ، بصورة شاملة ، تتجاوز خصوصيّة التعلّق بمقابلة العبارات السابقة : ﴿ **فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ** ﴾ .. فلو قال الله تعالى : (**واللاتي تخافون النشوز منهنّ**) ، لكان ذلك مقتصراً على مقابلة صفات الصلاح والقنوت وحفظ الغيب .. وفي هذه الحالة المفترضة ، لا تدخل المرأة الصالحة الحافظة للغيب والقانتة في ساحة هذه العبارة القرآنيّة ، إن كانت بحالة نفسيّة تنتج سلوكاً يؤدّي بها إلى حالة النشوز .. وهذه الحالة موجودة .. فليس كلُّ امرأة من الممكن أن تصل إلى حالة النشوز ليست صالحة ..

.. وبيَّنا أنَّ الصيغة ﴿ **وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ** ﴾ دون الصيغة (**واللاتي تخافون نشوزاً منهن**) ، تؤكِّد لنا أنَّ النشوز المتخوَّف منه خاصٌّ بكينونة المرأة ، وبحالتها النفسيّة

التي تنتج السلوك الذي نراه مقدِّمةً من الممكن أن توصلها إلى حالة النشوز .. بينما العبارة المفترضة (**واللاتي تخافون نشوزاً منهن**) تشمل حالات نشوز بأسباب متعدّدة ، اجتماعيّة أو اقتصاديّة ..... ، كالفقر كما قلنا .. لكن .. هذه الصيغة ﴿ **وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ** ﴾ تلقي الضوء على نشوزٍ خاصٍّ بالمرأة كامرأة في علاقتها كزوجة مع زوجها ، بعيداً عن الأسباب الأُخرى التي قد تؤدّي إلى الفراق ..

.. هذه الحالة التي تتملَّك أنفس بعض النساء دون غيرهن : ﴿ **وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ** ﴾ .. تلك النساء .. هُنَّ بالتحديد من يأمر الله تعالى بالتعامل معهن بالأحكام : ﴿ **فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا** ﴾ ، وذلك كعلاج نفسي لحالتهنَّ هذه .. فهذه الأحكام هي علاج نفسي لحالة تخصُّ بعض النساء كما نرى ..

.. وما نراه أنَّ هذا العلاج يكون بإتّباع ثلاث وصفات بآن واحد ، وليس بإتّباع تدريجي كما ذهبت تفاسيرنا الموروثة ، بحيث يبدأ العلاج بالوصفة الثانية بعد الانتهاء من نفاد الوصفة الأولى وفقدان الأمل بصلاح المرأة ، وكذلك يبدأ العلاج بالوصفة الثالثة بعد الانتهاء من الوصفة الثانية وفقدان الأمل بصلاح المرأة .. أبداً .. العطف بين هذه الوصفات ليس بكلمة (ثمّ) ، إنّما بحرف العطف (وَ) : ﴿ **فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ** ﴾ ، ولا توجد صيغة ترتيب تحتّم عدم البدء بالوصفة إلاَّ قبل نفاد سابقتها وعدم الوصول لنتيجة ..... نعم يؤخذ بالترتيب ما بين هذه الوصفات .. لكن يستمرُّ العمل بالوصفات مجتمعة للوصول إلى الصلاح المطلوب .. وإن تمَّ العلاج بالوصفة الأولى فقط ﴿ **فَعِظُوهُنَّ** ﴾ ، يكون الأمر قد انتهى .. وإن تمَّ العلاج بالوصفة الثانية ﴿ **وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ** ﴾ ، أو الثالثة ﴿ **وَٱضْرِبُوهُنَّ** ﴾ ، أيضاً يكون الأمر

قد انتهى .. وإن احتاج العلاج لأكثر من وصفة أيضاً يكون الأمر قد انتهى .. هذه وصفات علاجيّة يتمّ التحرّك خلالها ، لعلاج هذه الحالة ..

.. الوصفة الأولى هي : ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ .. وفي كتاب الله تعالى ، الوعظ : هو النصح والتوجيه بالكلمة الطيّبة ..

.. والوصفة الثانية هي : ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ .. والهجر : هو الفراق والابتعاد .. وكلمة ﴿ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ هي من الجذر (ض ، ج ، ع) .. ولهذا الجذر في كتاب الله تعالى ثلاثة فروع .. فرع في هذه العبارة القرآنيّة قيد الدراسة ، وفرعان في النصّين التاليين ..

﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ ﴾ [آل عمران : ١٥٤]

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة : ١٦]

.. المضاجع كما نرى هي : مواطن الرقود والاستقرار والسكون واللبث ، بعيداً عن الحركة .. وليست محصورة بأماكن اللقاء الجنسي بين الرجل والمرأة ، كما يتوهَّم الكثيرون .. أبداً .. أصلاً لا يُوجد مكانٌ محدَّد لا ثاني له ، للِّقاء الجنسي بين الرجل والمرأة ، بحيث يكون معروفاً لكلِّ الناس ، وبحيث لا يكون اللقاء الجنسي خارجه .. هذا غير معقول .. هذه هي كلمة ﴿ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ في كتاب الله تعالى تعني : مواطن الهدوء والسكون والرقود واللبث ، بعيداً عن الحركة ..

.. ورود كلمة ﴿ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ معرَّفةً بأل التعريف ، وليست معرَّفة تعريف إضافة للنساء ، له دلالته .. فالمعنى هو

المضاجع المعروفة والمحدَّدة من مواطن الاستقرار وهدوء النفس وسكونها وعدم توتّرها السلبي .. وهي مواطن معروفة لكلِّ الناس ، ولا يُختلَف في تحديدها .. وهي مواطن ليست خاصّة بالنساء فقط .. فمواطن الهدوء والسكينة والاستقرار متعارف عليها ، وليست خاصَّة بالنساء .. لذلك نرى كلمة ﴿ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ معرَّفة بأل التعريف ..

.. إذاً .. العبارة القرآنيّة ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ التي تصوِّر الوصفة الثانية من العلاج النفسي لهذا النوع من النساء تقول : وابتعدوا عنهن وفارقوهن في مواطن السكينة والراحة والهدوء ، لتوفير الصفاء والسكينة والاستقرار لهن .. فالعلاج النفسي لحالتهن يتطلَّب توفير الراحة والسكون والهدوء ، والابتعاد عن التوتّر والضجيج .. فعندما يسكنّ ويهدأن ، ابتعدوا عن تعكير هذا الصفو والراحة والهدوء الذي صرن به ..

.. والوصفة الثالثة هي ﴿ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ ..... ومشتقَّات الجذر (ض ، ر ، ب) في كتاب الله تعالى ، نرى فيها أنَّ ضَرْبَ الأمر : هو الإتيان به كدليلٍ لخدمة هدفٍ مُراد .. فالمثل يضربه الله تعالى ، بمعنى يأتي به كدليلٍ وكنموذج لإيصال موعظة مرادة ..

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم : ٢٤]

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم : ١٠]

.. فضربَ الشيء ، أتى به وطرحه نموذجاً وحجَّة ..

﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ ..... كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلأَمْثَالَ ﴾ [الرعد : ١٧]

﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٨]

.. وضربَ في الشيء : سار به وتحرَّك خلاله ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [النساء : ٩٤]

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ۚ ﴾ [النساء : ١٠١]

.. فأصْل معنى الضرْب في الشيء ، هو السعي والتحرُّك فيه لتحقيق المراد ..

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ٢٧٣]

.. وضرب الأمْرَ عن الشيء : أبعده عنه ..

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [الزخرف: ٥]

.. وضربَ بالشيء : استخدمه واسطة ووسيلة ، لتنفيذ المراد ، كتأثير وفعل في المضروب ..

﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ ﴾ [البقرة : ٦٠]

﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ ﴾ [النور: ٣١]

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ ﴾ [الشعراء : ٦٣]

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾ [الصافات : ٩١ - ٩٣]

﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ ﴾ [ص : ٤٤]

.. وضربَ على الشيء : أحاط به وغطَّاه ، بمعنى : أثَّر به عبر إحاطته وتغطيته بأمرٍ ما ..

﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ [البقرة : ٦١]

﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ﴾ [آل عمران : ١١٢]

﴿ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴾ [الكهف : ١١]

﴿ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ ﴾ [النور : ٣١]

.. إذاً .. دلالات مشتقَّات الجذر (ض ، ر ، ب) في كتاب الله تعالى واسعة ، ومعناها المجرَّد : التأثير بالشيء والفعل به وتحريك سكونه والسعي والإتيان به وطرحه كنموذج ، وكلُّ ذلك لهدفٍ مراد يقف خلف هذا الضرب .. وتمتدُّ هذه الدلالات من الحالة المعنويّة ، إلى الحالة الماديّة ، وذلك حسب السياق القرآني المحيط الذي تكون ضمنه هذه الكلمة ..

.. فضرْب الأمثال هو حالة معنويّة لأخذ العبر والمواعظ .. والضرب في الأرض هو الحركة الماديّة فيها .. وما يُحدِّد ماهيّة الحالة ، معنويّة كانت ، أم ماديّة حسيّة ، هو السياق القرآني المحيط ..

.. مثلاً .. في قوله تعالى الذي يخاطب به أيوب عليه السلام ..

﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ [ص : ٤٤]

.. نرى أنَّ السياق السابق لكلمة ﴿ فَٱضۡرِب ﴾ ، يتعلَّق بكلمة ﴿ بِيَدِكَ ﴾ ، وبكلمة : ﴿ ضِغۡثٗا ﴾ ..... ونرى أنَّ الضرب يكون بواسطة : ﴿ ضِغۡثٗا ﴾ ، حيث نرى كلمة : ﴿ بِّهِۦ ﴾ .. ﴿ فَٱضۡرِب بِّهِۦ ﴾ ..

.. وأيضاً في قوله تعالى الذي يصف تحطيم إبراهيم عليه السلام للأصنام كأحجار ماديّة حسيّة ..

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾ [الصافات : ٩١ - ٩٣]

.. نرى أنَّ السياق المحيط بكلمة ﴿ ضَرۡبَۢا ﴾ ، يحمل صورة ماديّة حسيّة ، سواء كان ذلك لمن وقع عليه الضرب (الأصنام) : ﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا ﴾ ، أم كان بوسيلة الضرب ، حيث نرى ورود حرف الباء في كلمة اليمين : ﴿ بِٱلۡيَمِينِ ﴾ ..

.. بينما في قوله تعالى ..

﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٧ - ٥٨]

.. قولهم ﴿ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ ﴾ ..... قولهم هذا (المتعلِّق بابن مريم) هو الذي ضربوه جدلاً ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ ﴾ ..... فالذي ضربوه جدلاً هو قول ، وليس جسماً ماديّاً حسيّاً ..... وبالعودة إلى مشتقّات الجذر (ض ، ر ، ب) في كتاب الله تعالى ، تتجلَّى أمام أعيننا دلالات هذا الجذر ودلالات الكلمات المتفرّعة عنه ..

.. وهنا قد يقول قائل : ما هو الفارق إذاً بين الضرب بهذا المعنى وبين الوعظ ؟ ... الوعظ هو النصح والتوجيه بالكلمة الطيّبة ، وذلك من خلال طرح الحِكَم والعبر

والأحكام التي تسمو بالنفس .. بينما الضرب هو التأثير في النفس من داخلها ، بتحريك مكنوناتها ، عبر استخدام مقدِّمات هي بداخل النفس وليس بخارجها ، بمعنى : هو الانطلاق من تحريك النفس وتهييجها والفعل بها من داخلها .. بينما الوعظ هو التأثير على النفس من خارجها عبر عرض الحكم والعبر عليها ..

.. وبهذين الوجهين تكتمل صورة العلاج ما بين التأثير من الخارج ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ ، والتأثير من الداخل ﴿ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ ، لتبقى الوصفة ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ بينهما كحالة صفاء وخلو وتفكّر يستقر بها علاج وصفتي الوعظ والضرب .. وكلٌّ وصفة كما قلنا تستعمل بالحيثيّة المناسبة لتعطي الهدف المرجو ..

.. الآن .. لنعد إلى العبارة القرآنيّة ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ ..... رأينا أنَّ الوصفة الأولى وهي : ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ ، هي علاج نفسي معنوي بالتأثير على النفس من خارجها بالحكم والعبر والمواعظ ، وليس ماديّاً حسيّاً ، فالوعظ هو النصح والتوجيه بالكلمة الطيّبة ..... ورأينا أنَّ الوصفة الثانية وهي : ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ ، هي أيضاً علاجٌ نفسيٌّ معنوي ، وليس ماديّاً حسيّاً ، ورأينا أنَّها تعني : ابتعدوا عنهن وفارقوهن في مواطن السكينة والراحة والهدوء ، مُبعِدين عنهنَّ الضجيج والتوتر ، وذلك لتوفير الصفاء والسكينة والاستقرار لهن ..

.. وقلنا : الوصفات الثلاث تُؤخذ في الوقت ذاته ، وليس كما قيل تبدأ الوصفة بعد الانتهاء من سابقتها وبعد الفشل في الصلاح .. بمعنى نتحرَّك بكلٍ من هذه الوصفات حسب الحيثيّة المناسبة .. كما نرى أنَّ كون الأمر هو وصفات علاجيّة لتفادي وقوع أمر لم يقع بعد ، هو النشوز ، يقتضي أنَّ الوصفات الثلاث ليست جزاء لذنب ، وليس عقوبة على خطيئة .. فلا جزاء ولا عقوبة على أمرٍ لم يحصل .. وكوننا نخاف من حصول أمر ، لا يعطينا الحقَّ بأن نجازي ونعاقب عليه قبل حصوله ولمجرَّد خوفنا من حصوله ..

.. الآن .. نرى أنَّ الوصفة الثالثة ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ ﴾ ، تتكامل مع الوصفتين المعنويَّتين السابقتين بكونها هي الأخرى معنويّة ، وليست منفكَّة عنهما .. ونرى أنَّ الضرب الوارد هنا لم يتعلَّق في سياقه النصّي بأيِّ إشارة لكونه ماديّاً حسيّاً ..

.. ونرى أيضاً أنَّ الضرب هنا ، لم يتعلَّق بواسطة كما رأينا في قصَّتي أيوب وإبراهيم عليهما السلام ، فهذه الصيغة ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ ﴾ تختلف عن صيغة الضرب في عبارات تصوِّر جانباً من قصّة أيّوب عليه السلام ﴿ وَخُذۢ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ ﴾ ، فلا مقارنة بين صياغة كلمة ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ ﴾ وبين صياغة الجملة ﴿ وَخُذۢ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ ﴾ ... ولا مقارنة أيضاً بين صياغة كلمة ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ ﴾ وبين صياغة الجملة ﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾ في قصّة إبراهيم عليه السلام ، حيث قام عليه السلام بتحطيم الأصنام الماديّة الحسيّة المنحوتة من الحجر ..

.. ونرى أيضاً أنَّ الذي يأمر الله تعالى بضربه هو ذات النساء المعنيَّات وكينونتهنّ المتعلِّقة بحالتهن ، كونهنّ يتخوَّف من وصولهنّ إلى حالة النشوز .. ونرى أيضاً أنَّ الضرب الذي يأمر الله تعالى به ، ليس جزاء وعقوبة على ذنب أو خطيئة ، إنّما هو علاج لحالة نفسيّة يتخوّف أن تؤدِّي إلى النشوز ، وذلك لصالح المرأة وحفاظاً على مستقبلها ..

.. من كلِّ ما سبق .. نرى أنَّ كلمة ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ ﴾ تعني : مع فعلكم في الوصفتين السابقتين ، وحيث ترون الحال مناسباً ، اقرعوا مواطن التأثير والانتباه والتأمّل والتدبّر والتفكّر فيهنّ من الداخل ، فكراً وثقافة ، عبر مخاطبتهنَّ كنموذج يُحتذى به ، وذلك في الأوقات التي تتطلَّب ذلك .. أي : هيِّجوا الشعور الإنساني الاجتماعي في كينونتهن من داخلهن ، ونمّوه ، عبر خطابهنّ كنموذج تطرحونه للصلاح ..

.. النصّ يقول : زاوجوا بين هذه الوصفات مجتمعة .. فمن جهة ، تحرَّكوا في علاجهن من خارج أنفسهن ، عبر الوعظ : ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ .. ومن جهة أُخرى في مواقف مناسبة ، عبر تحريكهن فكراً وثقافةً من داخلهن ، بالتأثير فيهنّ ، وبإنماء الشعور الإنساني والاجتماعي والأخلاقي في ذاتهن ، وبمخاطبتهنّ كنموذج يحتذى به للتقوى وللصلاح : ﴿ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ ..

.. وبين هاتين الوصفتين .. وفي ظروف أخرى مناسبة ، عالجوهن عبر إبعاد التوتّر والضجيج عنهنَّ ، لتأمين السكينة والهدوء والاستقرار في الوقت الذي يتطلَّب علاجهنّ ذلك ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ ، بحيث تُعطِي وصفتي الوعظ والضرب ثمارها ..

.. لقد رأينا الإطار العام لدلالات الجذر اللغوي (ض ، ر ، ب) في كتاب الله تعالى .. وكلمة ﴿ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ تستمدُّ حركة دلالاتها من جذرها اللغوي هذا .. ومن السياق المحيط بها من عبارات قرآنيّة .. وفي هذا السياق المحيط بها ، لا نرى ما يدلُّ على مفهوم الضرب المادّي ، بمعنى التأثير على أجسادهن بواسطة ما .. وما نراه هو مسائل معنويّة بحتة يذكرها الله تعالى كوصف لعلاج حالة النشوز المتوقَّعة عند بعض النساء ..

.. كلُّ ما في الأمر أنَّه تمَّ – خلال التاريخ – إسقاط الثقافة الاجتماعيّة المتخلّفة للعصور السابقة ، على دلالات كتاب الله تعالى .. وتتوارث الأجيال – جيلاً بعد جيل – هذه الثقافة ، التي لا يحملها كتاب الله تعالى – كما نرى – لا من قريب ولا من بعيد .. ويُحسَب كلُّ ذلك – للأسف – على كتاب الله تعالى ظلماً وعدواناً ..

.. وفساد التفسير الموروث .. ليس متوقِّفاً فقط عند حدود تفسير دلالات كلمة : ﴿ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ ، بل تعدَّاه إلى تفسير العبارة : ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ كما رأينا .. وتعدَّاه إلى إطلاق دلالات قوله تعالى : ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي

﴿ ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ على كلِّ النساء دون استثناء ، كحالة نشوز واقعة ، عقوبتها على مراحل ، تنتهي بالاعتداء الجسدي على المرأة ..

.. إذاً .. هناك نوعٌ من النساء هو ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ .. وهناك نوعٌ آخر هو ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ .. وبين النوعين باقي النساء ، اللاتي يتدرَّجن حسب اتّصافهنّ بقيمة إيمانيّة تتعلَّق بالصلاح من جهة ، وبحالة نفسيّة اجتماعيّة تقف خلف سلوكهن من جهةٍ أُخرى .. والنصُّ القرآني وضع علاجاً للصنف الثاني مكوَّناً من ثلاث وصفات علاجيّة نفسيّة كما رأينا : ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ ..

.. ويتوقَّف العمل بهذه الوصفات من العلاج ، لأيِّ امرأة من الصنف الثاني الذي بيّناه ، باستجابتها والتأكّد من عدم وجود إمكانيّة لنشوزها .. وهذا ما تحمله العبارات القرآنيّة ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ ..... فكلمة ﴿ أَطَعْنَكُمْ ﴾ هي من الجذر (ط ، و ، ع) .. ودلالات هذا الجذر تدور في إطار تليين النفس وترويضها للوصول بها إلى حالة الإتّباع ..

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠]

هنا نرى .. أنَّ العبارة ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ تعني : فسهَّلت نفسه وألانت له قتل أخيه ، لدرجة استجابته لهذا التسهيل ، فكانت النتيجة ﴿ فَقَتَلَهُۥ ﴾ ..

.. من هنا نرى كيف أنَّ الطوْع يُوضع – في كتاب الله تعالى – مقابل الكَره ..

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٣]

.. فالطوْع ليس مجرَّد مقابلٍ للعصيان .. نعم هو يعني عدم العصيان .. لكن يحمل أيضاً دلالة الرضا والقبول والاستجابة عن قناعة بالإتّباع .. وإلاَّ لما جاء في كتاب الله تعالى مقابل الكَره ..

.. والاستطاعة هي القدرة المطلوبة (المرضي عنها والمرادة) لتحقيق ما يُراد إتِّباعه ..

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن : ١٦]

.. والتطوّع هو العطاء (الذي ترضاه النفس وتبتغيه) في سبيل الإتّباع ..

﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٥٨]

﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٤]

.. من هنا نرى أنَّ كلمة ﴿ أَطَعْنَكُمْ ﴾ في العبارة : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ ، تعني : فإن حصل – نتيجة عملكم بوصفات هذا العلاج – اللين والإتّباع والاستجابة من خلال رضا أنفسهن ، بالخروج من حالتهنَّ ، وانتفاء إمكانيّة سقوطهنّ في ساحة النشوز .. عند ذلك ينتهي العمل بهذه الوصفات .. وما نراه هو ورود كلمة : ﴿ فَإِنْ ﴾ ، وليس كلمة (فإذا) : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ ﴾ .. فلربّما تصلون إلى نتيجة بعلاجكم هذا ، وربّما لا تصلون ..

.. وفي حال الوصول إلى نتيجة إيجابيّة ، بأن لانت أنفسهنّ وتمّت الاستجابة للعلاج ، وتمَّ إبعادهنّ عن إمكانيّة الوقوع في ساحة النشوز : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ ﴾ ، من خلال قيامنا بعلاجهنَّ وفق الوصفات التي بيّنها الله تعالى لنا ..... في هذا الحال ... يأمرنا الله تعالى بأن لا نتجاوز حدودنا عليهن في أيِّ سبيل من سبل التجاوز ، يؤدِّي إلى التكبّر

عليهن ، كونهن كنَّ في حالةٍ يحتجن بها للعلاج ، وكوننا من قام بعلاجهن ، وبأن لا نرى أنفسنا أعلى منهن ، كونهن كنّ بحالة يحتجن فيها إلينا .. ومن يتخيَّل نفسه أعلى منهنّ ، فليعلم أنَّ الله تعالى أعلى منه ومنهن ، ومن يتخيّل نفسه كبيراً عليهن ، فليعلم أنَّ الله تعالى أكبر منه ومنهن ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ ..

.. إذاً .. قوله تعالى ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ ، لا يخرج عن إطار المعاشرة بالمعروف ، والمساعدة الخيِّرة في خروج المرأة من حالة إمكانيّة الوقوع في حالة النشوز ، ويجب ألاَّ يؤدِّي ذلك إلى الكره والبغي .. وهذا ما نراه في توازن هذه العبارات القرآنيّة ، مع عبارات أُخرى في كتاب الله تعالى ..

﴿ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٣٤] = ٤٧٠

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ١٩] = ٤٧٠